

الفصل الرابع



ذات مساء خرجت من غرفتي وسمعت والدتي تتكلم عبر الهاتف كانت قد ذكرت اسمي وقفت لأسمع .

- «هي متعبة جدًا و ليست مريضة، تغيرت كثيرًا لا أعلم ما الذي حدث لها »ومشيت قبل أن تنتبه لوجودي، وبعد أن انتهت من حديثها الهاتفي، نادتنني وقالت أنها تريد إرسالني لخالي لأحضر لها بعض من المال، ولكن لم يكن عندي رغبة للخروج من البيت تلملت قليلًا ولكنها أصرت على ذهابي، ارتديت ملابسني ببطء شديد وخرجت متجهة إلى مكتب خالي.

دخلت المكتب متواقلة في مشيتي يبدو عليّ الملل وخالي كعادته استقبلني والابتسامة تعلو وجهه وعلامات الفرح لقدمي ومزيد من اللهفة الظاهرة على وجهه، ولكن شحوب وجهي أثار فضوله

وحيرته، سأل بلهفة ما بك يا حلوتي؟ من عكّر صفو أحلى البنات؟ وبمرح قال هل أنت عاشقة أخبريني لا تخافي حبيبتى ولن أخبر أحداً وستجدين عندي حل لكل مشاكلك تكلمي، ووقعت بفخ كلماته ربما لضعفي حينها وحاجتي الملحة لإخراج ما في صدري من حزن وقهر، أخبرته بكل ما حدث معي، ودموعي تنهمر وأشهق الألم بحرقة، ماكان منه إلا أن أخرج حبة دواء من درج مكتبه وأعطاني كوباً من الماء. وقال خذي حبيبتى هذه الحبة تريحك،

لست مريضة، «ضحك وقال أعلم» هذه تعيد لحياة مرحها وحيويتها، أخذت الحبة وماهي إلا دقائق حتى تغيرت طريقي بالكلام. شعرت بحمى تسرى بجسدي، وماكان منه إلا أن اقترب مني وهو يضحك، تسلل جسدي ذاك الخدران تهدلت عينياني وقلت: هناك سؤال يحيرني ولم أتجرأ أن أسأله لأحد، لطالما أثار تفكيري ونالت مني الظنون دون جدوى أخبرني من أنت؟ ابتسم بخبث أشعل سيجارته وأخذ ينفخ بعمق كمن يستنير منها جواباً.

- ما رأيك هل تريدين سيجارة.

أخذتها دون تردد منه وشعرت رأسي ثقيلاً حينها رغم أنها لم تكن المرة الأولى التي أدخن فيها أحياناً كنت أفعل ذلك مع محمود، نظرتني نظرة غريبة لا أنساها إلى الآن ، أخافتني تلك النظرة لدرجة الرعب.

مشى بخطوات متباطئة نحو الباب أغلقه.

واقترب مني تجول بعينه عبر جسدي، وكأنه يخترق ملابسي
ويعريني منها. نظراته تصب على نهدي بشغف كنت أسمع صوت
أنفاسه المتحشجة المتسرعة أطرقت رأسي إلى الأرض.

- قال: انظري إلي...

حينها كنت جسداً بلا روح،

روحي كانت هائمة في مكان آخر، تراءت أمامي صورة محمود
تمنيت للحظات لو أني ارتمت بين ذراعيه.

وهو مازال يتكلم لم يفتر عن الكلام لم أكن أسمع مايقول،
كنت داخل صندوق من الذكريات أتجول والعرشة تلازميني.

مد يده إلى شعري يغزوه بشدة وأدار رأسي إليه فتلاقت
العيون.

كنت أراه وجهًا لوجه ومن مسافة قريبة لأول مرة، تلك العينان
وبريقهما وهذا الشعر الأبيض وشارباه الصغيرين وأنفه الكبير.

يبدو أني لأول مرة أدقق بتفاصيله الصغيرة.

يده الغليظة مازالت غارقة في غابة شعري، وعيناه تتدفقان
شرراً ولهيب حمم، بدأت أرتعد تحت جنون نظرتة تلك، أعاد

خصلات شعري إلى الوراء، وأمسك بطرف الكنزة رفعها حتى حدود العنق، سرت قشعريرة في مسام جسدي، كانت مزيجاً من البرد وإحساس بالخوف، ومرر أنامله على ظهري وأكمل جولته إلى الأمام، لم أجروء على رفع يده أو إبعاده عني، طوقني وأنفاسه تقترب أكثر، ولسانه على ماكان قد ظهر من جسدي وكأنه يمسح حبات العرق التي خرجت من مسام جسدي، يدها تطوقان خصري وتطوف حول جسدي تنهاده أنامله بين خصري وتتعالى لتحط على نهدي... وشفته تطبقان على عنقي، أكاد أختنق حاولت الهرب بكيت حاصرني برجليه لجمني... كانت الأسئلة تهاجمني حلقت في فراغ أبحث عن جواب لم كل هذا يحدث معي؟

ارتحلت خارج المكان والزمان لعلي أهرب منه... ولكنني أفقت على صوت شهقاته وأنفاسه المتسارعة تلك.. وبدأت ملاسته تأخذ حركة بطيئة.. حركت عندي الرغبة.. لم أعد أحاول الهروب استسلمت للمساته... ورحلة أنامله لنهداي جعلتني أشعر بالخطر، تعالت أنفاسه وشهيقه.... والتصاقه بي أكثر وتمتم بكلمات لم أفهمها.. رجل تحول لطفل جائع لجسد.

وهذا فجأة اقتربت شفته تطبق على شفتي انتفضت باشمئزاز وابتعدت وأنا بحالة اشمئزاز. ولكنه انحنى وطبع قبلة على عنقي، وأنا بحاله ذهول بين نشوة الملامسة والخوف.

ومع ذلك استسلمت له تلك اللحظة، وسكنت حركاته وتلاشى حصاره.

تراجعت للوراء ورحت أرتب ملابسي بعصية وهو يرمقني بنظراته، ويتتابني شعور بالخوف الممزوج بالغضب..والرعب والاستسلام!

-وقال:إياك أن تخبري أحدا بما حدث، كانت نظرتة مخيفة، وعاد يقول:

-ما بك حبيتي لا تخافي، أنا أحبك، وكنت أراقب هذا الجسد حتى كبر وصار بهذا الجمال أنت لي هل تفهمين...

هذا الجسد الجميل وتلال الثلج التي تقبع فيه لي وحدي.ماكان مني إلا أن ألوذ بالصمت للحظات ثم عدت لأكرر سؤالي أخبرني من أنت؟؟

جلس خلف مكتبه وأشعل سيجارته وتنهد...

- نعم لست خالك. والدتك ليس لها أخوة، وأنا بمثابة أخ لها

- كيف؟؟ ووالدي كيف يوافق على مثل هذا أخبرني أرجوك، أنا متعبة جدا.

«أجابني ببرود هي قصة طويلة سأرويها لك ذات يوم، سيكون لنا لقاءات كثيرة هنا بعد الآن لن أستطيع الابتعاد عنك»

وخرج من وراء مكتبه و أعطاني بعض المال

وقال:هذه لك لا أريد أن تحتاجي إلى أحد، يجب أن تذهبي
تأخري خذي هذه الحبة معك لو شعرتي بضيق خذيها لتجدي
روحك تحلق مرحة ، أخذتها دون تردد وعدت للمنزل، بخطي
ثقيلة وفراغ داخل رأسي كصفير الرياح المغبرة غير مبالية هو تناقض
غريب لكنني اعتدت عليه بعد اللقاءات المتكررة بذات الطابع

كان ينمو داخلي ذلك الشعور الغريب ممزوجة بتناقض غريب،
بين الخوف والرغبة والألم استسلم للحظات وأعود للبعد، وكأني
لست أنا من حدث لها كل ما حدث بل هي فتاة أخرى...أشاهدها
أراقبها من بعد حزينة لأجلها.

تعودت على تناول تلك الحبوب التي أعطاني إياها، لم أعد
أستطيع البقاء دونها حين يفرغ ما يعطيني إياه من حبوب أكون
قد أحضرت عبوة جديدة، موضوع النقود متوفر وبكثرة...حين
أتناول تلك الحبة أتعامل ببرود ولا أشعر بعظمة ذلك الحدث..

كانت صورة محمود لا تفارقني، يتملك مني صراع انصياعي
لأوامر العجز، وكيف أترك ورائي محمود بما كنت أكن له من
مشاعر الحب..!

تغير ما في قلبي اتجاهه، أدركت أني كنت أمام رجل حقيقي،
جارف بعواطفه، يقتحمني بأمواله المتلاطمة، بعينه الهائجتين،

بكل شهوة الدنيا من نهم وعشق، لم أعد تلك المراهقة الصغيرة التي
اقتحمت بواكير أنوثتها من ذاك القريب.

انهارت عندي كل القيم...إزاء تلك الهجمات المتكررة على
جسدي.

حتى والدتي تلاشى احترامي لها، كنت أشعر أن لها يدًا خفية
بكل ما يحدث لي، حاولت مرارًا أن أفتح حديثًا مع أختي لمى، محاولةً
مني أن أعرف عنها ومنها هل تمر بما أمر به.

لكنها كانت متحفظة كثيرًا، وهذا ما جعل المسافة بيننا تتسع
وتبتعد أكثر، لكل واحدة حياتها وأسرارها ربما خوف أو ربما هو
الخجل، ماكان يمنع أي واحدة منا أن تفتح قلبها للآخرى

«حسان يقرأ يشرب قهوته والدموع تحتق داخل عينيه، حالة
الذهول تأخذ من ملامحه والتعب من السهر ومن تلك القصة المرعبة
بالنسبة له.

لم يتخيل أن كل هذا قد يمر بتلك الفتاة المرححة التي أحبها
بصمت.

ويسأل نفسه ترى لو علمت بما كان يحدث منها حينها، هل كنت
بنفس تلك المشاعر التي احتفظ بها أي كابوس أعيش معك حياة.

«ويتابع حسان القراءة»

في إحدى المرات بعد عودتي من المكتب شعرت بألم شديد في أسفل بطني واستلقيت على الفراش متعبة، لا أعلم ماذا حدث لي وبعد لحظات شعرت برطوبة في ملابسي الداخلية ذهبت للحمام وأصابني دعر حين وجدت فيها قليلا من الدم، غيرتها بسرعة ومزقت كل ما يظهر منها، ورميته بسلة المهملات وبقيت على تلك الحالة كئيبة، بحالة رعب وبينما أفعل ذلك شاهدتني «لمى»، سألتني

- ماذا بك..؟ أخبرتها... ضحكت وقالت ولما تمزقنيها وترمينها هذا أمر عادي أتذكرين ما سمعته من أم صفيه لوالدتك.

- نعم أذكر تماما ما دار بينهما

- قالت: هذا هو الأمر الذي حدث.. وشرحت لي أن كل فتاة في عمر معين يحدث لها وهذه هي طبيعة الأنثى علامة على أنها كبرت، وهنا يتسنى لها الزواج وإنجاب الأطفال.

لا تخافي حدث معي ذات الشيء، وأخبرتني كيف أتصرف، والغريب أن والدتي لا تنتبه لتلك الأمور، أو أنها لا تعرف كيف تتصرف حيالها.